« واو الثمانية » بين الوجود والعدم

دراسة تحليلية

بقلم دكتور

علي السنوسي محمد

الواو في لغة العرب حرف يكون عاملا وغير عامل ، والعامل قسمان : جار وناصب ، فالجار : واو القسم ، و « واو رب » ، والناصب : واو « مع » تنصب المفعول معه عند قوم ، والواو التي ينتصب الفعل المضارع بعدها هي الناصبة له عند الكوفيين . وأقسام « الواو » العاملة أربعة ولا يصح منها غير الأول (١) .

وأما « الواو » غير العاملة فقد ذكر بعضهم لها أقساماً كثيرة وهي راجعة إلى ثمانية أقسام هي : الواو العاطفه ، واو الاستئناف ، واو الحال ، الواو الزائدة ، الواو التي بمعنى « أو » ، واو الثمانية ، الواو التي هي علامة الجمع في لغة « أكلوني البراغيث » ، واو الإنكار ، واو التذكار ، الواو التي هي بدل من همزة الاستفهام (٢) .

فهذه جملة أقسام « الواو » منها ما هو متفق عليه ، ومنها ما هو مختلف فيه ولا يعنيني من جملة هذه الأقسام إلا قسم واحد دار الخلاف حوله ، ولم تتفق

---

(١) أنظر الجنى الداني في حروف المعاني المرادي ١٥٣ - ١٥٤ تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل . ط ثانية دار الآفاق الجديدة ببيروت .

(٢) المرجع السابق ١٥٨ - ١٧٢ .

كلمة العلماء على وجوده أو عدمه ، وهو القسم السادس من « الواو » غير العاملة وهو : « واو الثمانية » .

ولقد أثار انتباهي ولفت نظري ما دار حول هذه « الواو » من جدل ومناقشات بين أئمة النحو والتفسير مما دفعني إلى الوقوف بينهم منصفاً حتى أجلي الحقيقة وراء هذه « الواو » ولا سيما أن من أثبتها منهم استدل على وجودها بآيات من الذكر الحكيم جعلها دليل حكمه وحجة قضائه . .

ويقتضي البحث في هذه القضية أن أقسمه إلى خمسة مباحث :

المبحث الأول : القائلون بوجودها

المبحث الثاني : القائلون بعدم وجودها .

المبحث الثالث : الآيات المستدل بها وموقف العلماء منها .

المبحث الرابع : رد العلماء على القائلين بوجودها من خلال الآيات المستدل بها

المبحث الخامس : الإنصاف بين القائلين بوجودها وبين القائلين بعدم وجودها .

وقبل أن أعرض لهذه المباحث أود أن أذكر ضابطاً لـ « واو الثمانية » موضوع البحث . فأقول :

ضابط « واو الثمانية » :

هي الواو التي تلحق في الثامن من العدد ، وذلك أن السبعة عند العرب

أصل فى المبالغة فى العدد ، فإذا وصلوا إلى الثمانية ذكروا لفظاً يدل على الاستئناف فقالوا : وثمانية [١].

المبحث الأول : القائلون بوجودها :

أثبت وجود هذه « الواو » جماعة من النحويين والمفسرين على رأسهم : ابن خالويه والحريرى والثعلبى والقاضى الفاضل . قال ابن هشام فى مغنى اللبيب « ذكرها جماعة من الأدباء كالحريرى ، ومن النحويين الضعفاء كابن خالويه ، ومن المفسرين كالثعلبى [٢] » .

وقال أيضاً [٣] : « وأبكاراً » فى آية التحريم ذكرها القاضى الفاضل [٤] وتبجح باستخراجها [٥] وقد سبقه إلى ذكرها الثعلبى [٦] » .

---

(١) أنظر درة الغواص للحريرى ٣١ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . ط دار نهضة مصر ، والجنى الدانى ١٦٧ ، والتفسير الكبير الفخر الرازى ١٠٧/٢٢ ، طبعة ثانية دار الكتب العلمية ، وتفسير القرطبى ٣١١١/٤ ط الشعب .

(٢) أنظر مغنى اللبيب ٣٠٢/٢ تحقيق محمد محيى الدين ط محمد على صبيح .

(٣) المرجع السابق ٣٦٤/٢ .

(٤) قال العلامة الدسوقى : « اشتهر بذلك عبد الرحيم بن الحسين العسقلانى مولداً المصرى موناً » أنظر حاشية الدسوقى على مغنى اللبيب ٢٥/٢ . ط المشهد الحسينى . وقال الشيخ أحمد السكندرى : « القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى الكاتب رحمه الله » أنظر الإنصاف بهامش تفسير الكشاف ١٢٧/٤ . ط دار المعرفة بيروت .

(٥) « أى فرح وافتخر باستخراجها لأنها زائدة عما استخرجه غيره من الآيات الثلاثة المصورة ، وهى : آية براءة ، وآية الكهف ، وآية التنزيل » أنظر حاشية الدسوقى ٢٥/٢ .

(٦) قال الدسوقى تعليقاً على هذا : « أى ولم يطلع القاضى الفاضل على ما قاله

وقال الحريرى فى درة الغواص : « ومن خصائص لغة العرب إلحاق الواو فى الثامن من العدد كما جاء فى القرآن الكريم (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر[١]) وكما قال سبحانه (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم[٢]) ومن ذلك أنه جل إسمه لما ذكر أبواب جهنم ذكرها بغير واو لأنها سبعة فقال (حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها[٣]) . ولما ذكرت أبواب الجنة ألحق بها الواو لكونها ثمانية فقال سبحانه (حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها[٤]) وتسمى هذه الواو: واو الثمانية »

وفى معانى الحروف للرمانى : « واختلف العلماء فى (حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها[٥]) ثم قال : « وذهب بعض المفسرين إلى أن الواو ههنا تدل على أن الجنة ثمانية أبواب قال : لأن العرب تستعمل الواو فيما بعد السبعة ، واحتج على ذلك بقوله تعالى (ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم) . وكان على ابن عيسى[٦] يصحح هذا القول[٧] » . ثم قال[٨] : « ومما يؤنس به قوله

الثعلبى وإلا لما تبجح باستخراجها زيادة على ما استخرجه النحاة من الآيات » . حاشية الدسوقى ٢ [٢٥ .

(١) من الآية ١١٢ من سورة التوبة .

(٢) من الآية ٢٢ من سورة الكهف .

(٣) من الآية ٧١ من سورة الزمر .

(٤) من الآية ٧٣ من سورة الزمر .

(٥) أنظر معانى الحروف للرمانى ٦٣ تحقيق عبد الفتاح شلبى دار نهضة مصر

(٦) هو على بن عيسى الربعى .

(٧) أنظر معانى الحروف ٦٤ .

(٨) المرجع السابق ص٦٤.

تعالى (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر) ومنه (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكاراً)[١].

وفى التبيان قال العكبرى عند إعراب قوله تعالى (الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر): « إنما دخلت الواو فى الصفة الثامنة إيذاناً بأن السبعة عندهم عدد تام ولذلك قالوا: سبع فى ثمانية أى سبع أذرع فى ثمانية أشبار، وإنما دلت الواو على ذلك لأن الواو تؤذن بأن مابعدها غير ماقبلها ولذلك دخلت فى باب عطف الفسق[٢]».

وقد ضعف ابن هشام ماذهب إليه العكبرى فقال: « وذهب أبو البقاء على إمامته فى هذه الآية مذهب الضعفاء »[٣].

وقال المرادى فى الجنى الدانى: « وأنكر الفارسى واو الثمانية لما ذكرها ابن خالويه فى باب المناظرة[٤] ».

وفى التفسير الكبير للفخر الرازى عند تفسير قوله تعالى (وثامنهم كلبهم[٥]) قال: « إن السبعة عند العرب أصل فى المبالغة فى العدد قال تعالى (إن تستغفر لهم سبعين مرة[٦]) وإذا كان كذلك فإذا وصلوا إلى الثمانية ذكروا لفظاً يدل على الاستئناف فقالوا: وثمانية، فجاء هذا الكلام على هذا القانون ».

---

(١) آية ٥ من سورة التحريم.

(٢) أنظر التبيان للعكبرى ١/٦٦٢ تحقيق محمد على البجاوى ط الحلبى.

(٣) أنظر المغنى ٢/٣٦٤.

(٤) أنظر الجنى الدانى ١٦٨.

(٥) من الآية ٢٢ من سورة الكهف.

(٦) سورة التوبة الآيتان ٨٠، ١١٢.

قالوا : ويدل عليه نظيره فى ثلاث آيات وهى قوله (والناهون عن المنكر)[١] ، لأن هذا هو العدد الثامن من الأعداد المتقدمة ، وقوله (حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها)[٢] لأن أبواب الجنة ثمانية وأبواب النار سبعة وقوله (ثيبات وأبكاراً)[٣] هو العدد الثامن مما تقدم ، والناس يسمون هذه الواو ، واو الثمانية ومعناه ما ذكرنا »[٤] .

وفى البيان قال الأنبارى : « وأما (سبعه وثامنهم كلبهم) فإنما جاء بالواو ولم تجىء به على الصفة كالعدد قبله لأن السبعة) أصل المبالغة فى العدد كما كانت السبعين كذلك فى قوله تعالى : (إن نستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم)[٥].

وفى البحر المحيط لأبى حيان قال : « وذكر عن أبى بن عباس وابن خالويه أنها واو الثمانية وأن قريشاً إذا تحدثت تقول : ستة سبعة وثمانية فتدخل الواو فى الثمانية »[٦].

وفى حاشية الجمل على تفسير الجلالين عند تفسير قوله تعالى (والناهون عن المنكر) قال : « وقيل إنما عطف بالواو إشارة إلى أن مدخولها هو

---

(١) سورة التوبة الآيتان ٨٠ ، ١١٢

(٢) من الآية ٧٣ من سورة الزمر

(٣) من الآية ٥ من سورة التحريم

(٤) أنظر التفسير الكبير للفخر الرازى ٢٢/١٠٧

(٥) انظر البيان فى غريب إعراب القرآن الأنبارى ٢/١٠٤ تحقيق طه عبد الحميد طه ط الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٦) أنظر البحر المحيط لأبى حيان ٦/١١٤ ط دار الفكر .

الوصف للثامن وذلك لأنها عندهم تسمى واو الثمانية وتدخل على ما يكون ثامناً .[1] .

وفى تفسير القرطبى عند تفسير الآية السابقة قال : « وقيل : هى واو الثمانية لأن السبعة عند العرب عدد كامل صحيح ، وكذلك قالوا فى قوله : (ثيبات وأبكاراً) وقوله فى أبواب الجنة (وفتحت أبوابها وقوله (ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم) وقد ذكرها ابن خالويه فى مناظرته لأبى على الفارسى فى معنى قوله (وفتحت أبوابها) وأنكرها أبو على .[2]

ثم قال : « وقال ابن عطية : وحدثنى أبى - رضى الله عنه - عن الأستاذ النحوى أبى عبد الله الكفيف المالقى وكان ممن استوطن غرناطة وأقرأ فيها فى مدة ابن حبوس أنه قال : هى لغة فصيحة لبعض العرب ، من شأنهم أن يقولوا إذا عدوا: واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة وثمانية تسعة عشرة. وهكذا هى فى لغتهم ، ومتى جاء فى كلامهم أمر ثمانية ادخلوا الواو . قلت : هى لغة قريش .[3].

وقال عند تفسير قوله تعالى : (وثامنهم كلبهم)[4] : « وقالت فرقة منها ابن خالويه : هى واو الثمانية ، وحكى الثعلبى عن ابن عباس أن قريشاً كانت تقول فى عددها : ستة سبعة وثمانية فتدخل الواو فى الثمانية ،[5] ثم قال : « وحكى نحوه القفال .[6] .

---

(١) أنظر حاشية الجمل ٢/٣١٢ ط الحلبى

(٢) أنظر تفسير القرطبى ٤/٣١١٠ . ٣١١١

(٣) أنظر تفسير القرطبى ٤/٣١١١

(٤) من الآية ٢٢ من سورة الكهف

(٥) أنظر تفسير القرطبى ٥/٣٦٩٩ (٦) المرجع السابق

من النصوص السابقة يمكن القول بأن القائلين بوجود « واو الثمانية » متفقون على أن من خصائص لغة العرب الإتيان بالواو فى الثامن من العدد يساندهم فى ذلك قول من يقول : « هى لغة فصيحة لبعض العرب »[1] وقول من يقول : « هى لغة قريش »[2].

المبحث الثانى : القائلون بعدم وجودها :

ذهب إلى إنكار موجود « واو الثمانية » كثير من العلماء، وهم كبار النحويين والمفسرين .

قال صاحب الإنصاف فيما تضمن الكشاف من الاعتزال معلقاً على كلام الزمخشرى على الواو فى قوله تعالى (وثامنهم كلبهم) : « وهو الصواب لا كمن يقول : إنها واو الثمانية فإن ذلك أمر لا يستقر لمثبته قدم »[3] .

وقال معلقاً على كلام الزمخشرى على الواو فى قوله تعالى (ثيبات وأبكاراً) (٣) : « وقد ذكر لى الشيخ أبو عمرو بن الحاجب ـ رحمه الله ـ أن القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى الكاتب ـ رحمه الله ـ كان يعتقد أن الواو فى الآية هى الواو التى سماها بعض ضعفة النحاة : واو الثمانية ، لأنها ذكرت مع الصفة الثامنة ، فكان الفاضل يتبجح باستخراجها زائدة على المواضع الثلاثة المشهورة صلة ، أحدها : التى فى الصفة الثامنة من قوله

---

(١) أنظر حاشية الدسوقى على المغنى ٢/٨٤ وحاشية الأمير ٢-٣٥ ط الحلبى

(٢) أنظر البحر المحيط ٦ - ١١٤ والقرطبى ٤ - ٣١١١

(٣) أنظر الإنصاف بهامش الكشاف ٢ - ٤٧٨

(٤) من الآية ٥ من سورة التحريم

(التائبون العابدون)(١) عند قوله (والناهون عن المنكر)(٢) ، والثانية : فى قوله (وثامنهم كلبهم) ، والثالثة : فى قوله (فتحت أبوابها)(٣) ، قال الشيخ أبو عمرو ابن الحاجب : ولم يزل الفاضل يستحسن ذلك من نفسه إلى أن ذكره يوماً بحضرة أبى الجود النحوى المقرى ، فبين له أنه وأم فى عدها من ذلك القبيل وأحال البيان على المعنى الذى ذكره الزمخشرى من دعاء الضرورة إلى الإتيان بها ها هنا لإمتناع اجتماع الصفتين فى موصوف واحد ، وواو الثمانية إن ثبتت فإنما ترد بحيث لا حاجة إليها إلا للإشعار بتمام نهاية العدد الذى هو السبة ، فأنصفه الفاضل - رحمه الله - واستحسن ذلك منه وقال : أرشدتنا يا أبا الجود »(٤)

وقد ذكر المرادى فى الجنى الدانى أن المحققين لم يثبتوا « واو الثمانية » وقال : « وأنكر الفارسى واو الثمانية لما ذكرها ابن خالويه فى باب المناظرة »(٥).

وقد سبق أن نقلنا عن هشام قوله : « ذكرها جماعة من الأدباء كالحريرى ومن النحويين الضعفاء كابن خاويه ، ومن المفسرين كالثعلبي »(٦)

وواضح من كلام ابن هشام أنه يريد أن ينفى وجود « واو الثمانية » لأنه لم يقل بذلك نحوى يعتمد عليه .

---

(١) ، (٢) من الآيه ١١٢ من سورة التوبه

(٣) من الآيه ٧٣ سورة الزمر

(٤) أنظر الانصاف بهامش الكشاف ٤ - ١٢٧ : ١٢٨

(٥) أنظر الجنى الدانى ١٦٨

(٦) أنظر المغنى ٢ - ٢٦٣

وفى تفسير الفخر الرازى بعد أن ذكر أن « الواو » فى (وثامنهم كلبهم) واو الثمانية قال : « قال القفال : هذا ليس بشيء »(١) .

وفى حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى : « وكون هذه الواو واو الثمانية الكلام عليه مبسوط فى المغنى وشروحه وشروح الكشاف »(٢)

ويفهم من هذا الكلام أن الشهاب يمنع وجود هذه الواو لأن المبسوط فى الكتب التى ذكرها إنما هو نفى وجودها .

وفى الإتقان قال السيوطى رادا على من ذكرها : « والصواب عدم ثبوتها »(٣) .

المبحث الثالث : الآيات المستدل بها وموقف العلماء منها :

الآيات التى استدل بها القائلون بوجود « واو الثمانية » هى :

١ ـ قوله تعالى (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر)(٤) .

٢ ـ قوله تعالى (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم)(٥) .

---

(١) أنظر التفسير الكبير للفخر الرازى ٢٢ - ١٠٧

(٢) أنظر حاشيه الشهاب على البيضاوى المسماه « عنايه القاضى وكفايه الراضى » ٦ - ٨٩ ط دار صادر بيروت

(٣) أنظر الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى ١ - ٢٢٤ ط الحلبى

(٤) من الآيه ١١٢ سورة التوبه

(٥) من الآيه ٢٢ سورة الكهف

٣ - قوله تعالى (حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها)(١).

٤ - قوله تعالى (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكاراً)(٢) .

٥ - قوله تعالى : (سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً)(٣) .

وسأذكر الآن موقف العلماء من هذه الآيات :

الآية الأولى :

يرى المرادى أن « الواو ، في قوله تعالى (والناهون عن المنكر)(٤) أنها واو العطف وليست « واو الثمانية » قال في الجنى الدانى : « أما قوله تعالى : (والناهون) فالواو فيه عاطفة وحكمة ذكرها في هذه الصفة دون ما قبلها من الصفات ما بين الأمر والنهى من التضاد فجيء بالواو رابطة بينهما لتبا بينهما وتنافيهما ، وقال بعضهم ، هى زائدة وليس بشيء »(٥)

وقد ذكر ابن هشام نحواً من ذلك قال في المغنى : « . . (والناهون عن المنكر) فإنه الوصف الناس ، والظاهر أن العطف في هذا الوصف بخصوصه إنما كان من جهة أن الأمر والنهى من حيث هما أمر ونهى متقابلان بخلاف

---

(١) من الآية ٧٣ سورة الزمر

(٢) آية ٥ من سورة التحريم

(٣) الآية ٧ سورة الحاقة

(٤) من الآية ١١٢ سورة التوبة

(٥) أنظر الجنى الدانى ١٦٨

بقية الصفات ، أو لأن الآمر بالمعروف ناه عن المنكر وهو ترك المعروف . والناهى عن المنكر آمر بالمعروف ، فأشير إلى الإعتداد بكل منهما وأنه لا يكتفى فيه بما يحصل فى ضمن الآخر) [١] .

وقال العلامة الجمل فى حاشيته على الجلالين : « . . (والناهون عن المنكر) إنما عطف هذا الوصف على ما قبله لمضادة بينهما إذ الأول طلب فعل والثانى طلب ترك) [١] .

وقال الشيخ أبو السعود فى تفسيره : « والعطف فيه الدلالة على أن المتعاطفين بمنزلة خصلة واحدة » [٢] .

وقال القرطبى : (واختلف العلماء فى الواو فى قوله (والناهون عن المنكر فقيل : دخلت فى صفة الناهين كما دخلت فى قوله تعالى (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم . غافر الذنب وقابل التوب) [٣] فذكر بعضها بالواو ، والبعض بغيرها ، وهذا سائغ معتاد فى الكلام ولا يطلب لمثله حكمة ولا علة ، وقيل : دخلت لمصاحبة الناهى عن المنكر الآمر بالمعروف ، فلا يكاد يذكر واحد منهما مفرداً » [٤] .

وهذا الكلام يثبت بما لا يدع مجالا للشك أن (الواو) فى الآية الكريمة للعطف وليست (واو الثمانية) .

---

(٤) انظر المغنى ٢ : ٣٦٣ : ٣٦٤ .

(١) انظر حاشية الجمل ٢/٣٢٢ . (٢) انظر تفسير أبى السعود ٤/١٠٧ المسمى : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ط دار إحياء التراث العربى بيروت . (٣) آية ١ ، ٢ ومن الآية ٣ من سورة غافر .

(٤) انظر تفسير القرطبى ٤ : ٣١١٠

الآية الثانية :

قال الزمخشري في الكشاف عند تفسير قوله تعالى (وثامنهم كلبهم) [1] (فإن قلت : فما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة ؟ ولم دخلت عليها دون الأولين ؟ قلت : هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة في نحو قولك : جاءني رجل ومعه آخر ، ومررت بزيد وفي يده سيف ، وفائدتها تأكيد لصوق الصفة بالموصوف ، والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر ، وهذه الواو هي التي آذنت بأن الذين قالوا : سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات علم وطمأنينة نفس ولم يرجموا بالظن كما غيرهم ، [2] .

ثم قال : (وقال ابن عباس - رضي الله عنه : حين وقعت الواو انقطعت العدة أي : لم يبق بعدها عدة عاد يلتفت إليها ، وثبت أنهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والثبات) [3] .

وقد علق صاحب الإنصاف على ما ذكره الزمخشري بقوله ، وهو الصواب) [4] .

وواضح من كلام الزمخشري وصاحب الإنصاف أنهما يريان أن (الواو)

---

(١) من الآية ٢٢ من سورة الكهف .

(٢) انظر الكشاف ٢ : ٤٧٨ ط دار المعرفة بيروت .

(٣) انظر الكشاف ٢ : ٤٧٩ .

(٤) انظر الإنصاف بهامش الكشاف ٢ : ٤٧٨ .

فى الآية ليست (واو الثمانية) وقد صرح بذلك صاحب الانصاف حيث يقول : (لا كمن يقول إنها واو الثمانية فإن ذلك أمر لا يستقر لشبته قدم)[١].

غير أن فى قول الزمخشرى : (هى الواو التى تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة) نظراً لأن دخول الواو على الصفة لم يقل به أحد من النحويين ولذا قال الشيخ أبو حيان فى البحر المحيط عقب نقل كلام الزمخشرى : (ويكفى رداً لقول الزمخشرى أنا لا نعلم أحداً من علماء النحو ذهب إلى ذلك)[٢] ، وقال المرادى فى الجنى الدانى : (وهو معترض من جهة أن دخول الواو على الصفة لم يقل به أحد من النحويين)[٣].

وذهب الشيخ أبو السعود إلى أن الواو زائدة للتوكيد قال عند تفسير قوله تعالى (وثامنهم كلبهم) :

(هو ما يقوله المسلمون بطريق التلقى من هذا الوحى وما فيه مما يرشدهم إلى ذلك من عـــدم نظمه فى سلك الرجم بالغيب وتغيير سبكه بزيادة الواو المفيدة لزيادة وكادة النسبة فيما بين طرفيها لا يوحى آخر كما قيل)[٤].

وفى الجنى الدانى : « وأما قوله تعالى (وثامنهم كلبهم) فقيل : هى واو العطف أى : يقولون سبعة وثامنهم كلبهم فهما جملتان)[٥].

---

(١) انظر الإنصاف بهامش الكشاف ٢ ، ٤٧٨ ،

(٢) « البحر المحيط ٦ ، ١١٥ .

(٣) « الجنى الدانى ١٦٦ .

(٤) « تفسير أبى السعود ٦ ، ٢١٦ (٥) انظر الجنى الدانى ١٦٨ .

وقال ابن هشام فى المغنى : « . . قيل : هى فى ذلك لعطف جملة على جملة إذ التقدير : هم سبعة ، ثم قيل : الجميع كلامهم ، وقيل : العطف من كلام الله تعالى والمعنى : هم سبعة وثامنهم كلبهم وأن هذا تصديق لهذه المقالة كما أن (رجماً بالغيب) تكذيب لتلك المقالة ، ويؤيده قول ابن عباس - رضى الله عنهما - حين جاءت الواو إنقطعت العدة أى لم يبق عدة عاد يلتفت إليها »[1] .

ثم قال : « وقيل : هى واو الحال ، وعلى هذا فيقدر المبتدأ اسم إشارة أى : هؤلاء سبعة . ليكون فى الكلام مايعمل فى الحال ، ويرد ذلك أن حذف عامل الحال إذا كان معنوياً ممتنع »[2]

وفى الجلالين : « . . (سبعة وثامنهم كلبهم) الجملة من مبتدأ وخبر صفة بزيادة الواو ، وقيل : تأكيداً ودلالة على لصوق الصفة بالموصوف »[3] .

ولا يخفى أن فى هذا تأثراً بما ذهب إليه إليه الزمخشرى فيما نقلناه عنه آنفاً ، وقد سبق أن ذكرنا أنه معترض عليه .

وقال العلامة الجمل فى حاشيته معلقاً على كلام « الجلالين » السابق : قوله: بزيادة الواو . أى من غير ملاحظة معنى التوكيد على رأى الأخفش

---

(١) انظر المغنى ٢/٦٣٢

(٢) « « ٢/٦٣٢

(٣) « تفسير الجلالين ٣/٦ ط الحلبى .

والكوفيين لأن وجودها فى الكلام كالعدم فى عدم إفادة أصل معناها ، وقوله : تأكيداً أى : وقيل : زائدة لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف كما عبر به غيره »[1] .

ثم قال : « وقيل : هى واو العطف كأنه قيل : هم سبعة وثامنهم كلبهم ، وقيل : واو الحال فيؤول المعنى إلى أنهم يقولون ذلك مع هذا الحال وهو أن ثامنهم كلبهم واقع لا محالة ، ويلزم منه أن يكونوا سبعة »[2] .

ثم قال : « قال ابن هشام : وقول جماعة من الأدباء كالحريرى ، ومن النحويين كابن خالويه ، ومن المفسرين كالثعلبى إنها واو الثمانية لا يرضاه نحوى لأنه لا يتعلق به حكم إعرابى ولا سر معنوى »[3] .

ثم ذكر رأياً للعلامة الكافيجى يتضمن وجهاً لطيفاً فقال : « قال العلامة الكافيجى : هى فى التحقيق واو العطف لكن لما اختص إستعمالها بمحل مخصوص وتضمنت أمراً غريباً واعتباراً لطيفاً ناسب أن تسمى باسم غير جنسها فسميت بواو الثمانية لمناسبة بينها وبين سبعة وذلك لأن السبعة عندهم عقد تام كعقود العشرات لاشتمالها على أكثر مراتب أصول الأعداد فإن الثمانية عقد مستأنف فكان بينهما إتصال من وجه وانفصال من وجه وهذا هو المقتضى للعطف ، وهذا المعنى ليس موجوداً بين السبعة والستة »[4] .

وقال أبو حيان فى البحر المحيط : « والواو فى (وثامنهم) للعطف على الجملة السابقة أى : يقولون هم سبعة وثامنهم كلبهم . فأخبروا أولا بسبعة رجال جزماً ثم أخبروا إخباراً ثانياً أن ثامنهم كلبهم بخلاف القولين

---

(١) انظر حاشية الجمل على الجلالين ٣/١٦ .

(٢ ، ٣ ، ٤) انظر حاشية الجمل ٣/١٧

السابقين فإن كلا منهما جملة واحدة وصف المحدث عنه بصفة ولم يعطف الجملة عليه »[1].

وقال مكى بن أبي طالب : « قوله (وثامنهم كلبهم) : إنما جيء بالواو هنا لتدل على تمام القصة وانقطاع الحكاية عنهم ، ولو جيء بها مع رابع وسادس لجاز . ولو حذفت من الثامن لجاز لأن الضمير العائد يكفي عن الواو تقول : رأيت عمراً وأبوه جالس ، وإن شئت حذفت الواو للهاء العائدة على عمرو ، ولو قلت : رأيت عمراً وبكر جالس لم يجز حذف الواو إذ لا عائد يعود على عمرو ، ويقال لهذه الواو : واو الحال ، ويقال واو الابتداء ، ويقال : واو إذ أي هي بمعنى إذ »[2].

وقال النحاس في إعراب القرآن : « وفي المجيء بالواو (وثامنهم) خاصة دون ما تقدم قولان أحدهما : أن دخولها وخروجها واحد ، والآخر : أن دخولها يدل على تمام القصة وإنقطاع الكلام ذكر هذا القول إبراهيم ابن السري فيكون المعنى عليه أن الله عز وجل خبر بما يقولون ، ثم أتى بحقيقة الأمر فقال : (وثامنهم كلبهم) »[3].

وفي حاشية الشهاب على البيضاوي قال : « وإختار السهيلي فيه أنه عطف تلقيني وأنه معنى قول ابن عباس — رضي الله عنهما — لما جاءت الواو

---

(١) البحر المحيط ١٢٤/٦

(٢) أنظر مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي ٤٢٩/١ تحقيق د . حاتم صالح الضامن ط ثانية مؤسسة الرسالة - بيروت .

(٣) أنظر إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس ٤٥٢/٢ : ٣ : ٤ تحقيق د . زهير غازي زاهد ط عالم الكتب - مكتبة النهضة العربية - ثانية .

انقطعت العدة ، ثم قال : « وهو وجه لطيف به يتضح الإيماء المذكور [١] » .

وفى التبيان قال العكبرى : « ولو كانت الواو هنا وفى الجملة التى بعدها لجاز كما جاز فى الجملة الأخيرة لأن الجملة إذا وقعت صفة للنكرة جاز أن تدخلها الواو وهذا هو الصحيح فى إدخال الواو فى : ثامنهم » [٢]

وفى هذا الكلام إشارة إلى أن « الواو » زائدة للتأكيد ، غير أن قوله « لأن الجملة إذا وقعت صفة للنكرة جاز أن تدخلها الواو » معترض عليه من جهة أن دخول « الواو » على الصفة لم يقل به أحد من النحويين وهو ما سبق أن رد به على الزمخشرى

وذهب القرطبى فى تفسيره إلى أن « الواو » فى « وثامنهم » يمكن أن تكون عاطفة ، ويمكن أن تكون زائدة قال « والواو فى قوله (وثامنهم كلبهم) طريق النحويين أنها واو العطف دخلت فى آخر إخبار عن عددهم لتفصل أمرهم وتدل على أن هذا غاية ما قيل ولو سقطت لصح الكلام [٣] » .

وقال : « وقال قوم ممن صار إلى أن عددهم سبعة : إنما ذكر الواو فى قوله (سبعة وثامنهم) لينبه على أن هذا هو الحق وأنه مباين للأعداد الأخر التى قال فيها أهل الكتاب ، ولهذا قال تعالى فى الجملتين المتقدمتين (رجماً بالغيب) ولم يذكره فى الجملة الثالثة ولم يقدح فيها بشىء ، فكأنه قال لنبيه : هم سبعة وثامنهم كلبهم [٤] » .

---

(١) أنظر حاشية الشهاب على البيضاوى ص ٨٩ .

(٢) أنظر التبيان ٢/ ٨٤٣ .

(٣) أنظر تفسير القرطبى ٥/ ٣٩٩٩ .

(٤) أنظر تفسير القرطبى ٥/ ٤٠٠٠ .

وهو وجه لطيف تستريح النفس إليه . وغير خفي أن « الواو » على هذا الوجه للعطف

الآية الثالثة :

ذهب الزمخشري إلى أن « الواو » في قوله تعالى (وفتحت أبوابها) بمعنى « مع » أو حالية قال في الكشاف : « وقيل : حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها أي مع فتح أبوابها . وقيل : أبواب جهنم لا تفتح إلا عند دخول أهلها فيها ، وأما أبواب الجنة فتقدم فتحها بدليل قوله (جنات عدن مفتحة لهم الأبواب [1]) فلذلك جيء بالواو وكأنه قيل : حتى إذا جاءوها وقد فتحت أبوابها » [2] .

وقال الشيخ أبو السعود : « كأنه قيل : حتى إذا جاءوها وقد فتحت أبوابها [3] » .

وقال المرادي : « وأما قوله (وفتحت) فقال أبو علي وغيره : هي واو الحال والمعنى : حتى إذا جاءوها وقد فتحت ، أي جاءوها وهي مفتحة لا يوقفون وهذا قول المبرد أيضاً ، وقيل : إن أبواب جهنم لا تفتح إلا عند دخول أهلها وأما أبواب الجنة فيتقدم فتحها بدليل قوله تعالى (جنات عدن مفتحة لهم الأبواب) ، وجواب إذا على هذا القول محذوف [4] » .

---

(١) الآية ٥٠ من سورة ص .

(٢) أنظر الكشاف ٣ : ٤١١ .

(٣) « تفسير أبي السعود ٧ : ٢٦٤ .

(٤) « الجنى الداني ص ١٦٩ .

وفى المغنى [١] لابن هشام أن (الواو) فى (وفتحت) مقحمة عند قوم ، وعاطفة عند آخرين ، وقيل : هى واو الحال أى : جاءوها مفتحة أبوابها كما صرح بمفتحة حالا فى (جنات عدن مفتحة لهم الأبواب) .

قال ابن هشام : (وهذا قول المبرد والفارسى وجماعة ، قيل : وإنما فتحت لهم قبل مجيئهم إكراماً لهم عن أن يقفوا حتى تفتح لهم) [٢]

وفى تفسير الجلالين : (الواو فيه للحال بتقدير قد [٣]

القائلون بزيادة (الواو) فى (وفتحت أبوابها) :

ممن ذهب إلى القول بزيادة (الواو) فى (وفتحت أبوابها) الهروى فى الأزهية قال : (المعنى : حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها) [٤] ،

وقد حكى المبرد زيادة (الواو) عند الكوفيين فى قوله تعالى (وفتحت أبوابها) ثم قال مبطلا ذلك : (وزيادة الواو غير جائزة عند البصريين) [٥]

وقد ذكر الرمانى فى معانى الحروف أن المبرد يذهب إلى زيادة الواو والتقدير : حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها [٦] .

---

(١) « المغنى ٢:٣٦٣ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) أنظر تفسير الجلالين ٣:١٦ .

(٤) « الأزهية فى علم الحروف ص ٢٦٤ تحقيق عبد المعين الملوحى ، ط مجمع اللغة العربية بدمشق .

(٥) أنظر المقتضب ٢:٧٨ ط ثانية ـ المجلس الأعلى للشئون الفاتونية .

(٦) « معانى الحروف للرمانى ص ٦٢ .

وعند التحقيق نجد أن المبرد لم يذهب إلى زيادة (الواو) وإنما حكى زيادتها عند الكوفيين وذكر أن البصريين لا يجيزون ذلك كما ذكرت آنفاً.

ومن ذهب إلى القول بزيادتها أيضاً الأنبارى. قال فى البيان: (والواو زائدة وتقديره: حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها [1]).

وقال العكبرى: (وفتحت. الواو زائدة عند قوم لأن الكلام جواب حتى [2]).

وأقول: إن القول بزيادة (الواو) فى (وفتحت أبوابها) لا تستريح إليه النفس وأنها لا بد من وجودها فهى (واو الحال) كما ذكر الأئمة كالمبرد والفارسى والزمخشرى والمرادى وابن هشام، لأن المعنى مع عدم وجودها يشير إلى أن هؤلاء الكفار يساقون إلى جهنم سوق البهائم فلا تكريم ولا انتظار ولا تقدير، وعلى العكس من ذلك فالمعنى يشير إلى أن المتقين تفتح لهم أبواب الجنة عند مقدمهم، وفيه من التكريم ما فيه وكأن أحداً ينتظرهم كما يفعل مع ذوى الدرجات العلى.. يدل له ما ذكره ابن هشام فى المغنى من قوله (وإنما فتحت لهم قبل مجيئهم إكراماً لهم عن أن يقفوا حتى تفتح لهم) [3]

وقال الشيخ الدسوقى فى حاشيته معلقاً (قوله: إكراماً، أى بخلاف النار فإنها سجن لا تفتح إلا عند الإدخال كما هو عادة السجن لا يفتح إلا للداخل فيه أو الخارج منه) [4].

---

(١) أنظر البيان فى غريب إعراب القرآن ٢: ٣٢٧.

(٢) « التبيان ٢: ١١٤.

(٣) أنظر المغنى ٢: ٣٩٣.

(٤) « حاشية الدسوقى على المغنى ٢: ٢٥.

الآية الرابعة :

قال الزمخشرى عند تفسير قوله (ثيبات وأبكاراً) : « فإن قلت لم أخليت الصفات كلها من العاطف ووسط بين الثيبات والأبكار ؟ قلت : لأنهما صفتان متنافيتان لا يجتمعن فيهما اجتماعهن فى سائر الصفات فلم يكن بد من الواو)[١] .

وقال الشيخ أبو السعود (وسط بينها العاطف لتنافيهما)[٢] .

وقال المرادى : وأما قوله تعالى (وأبكارا) فليس من هذا الباب لأن الواو فيه عاطفة ولا بد من ذكرها لأنها بين وصفين لا يجتمعان فى محل واحد)[٣] .

وقال ابن هشام فى المغنى (والصواب أن هذه الواو وقعت بين صفتين هما تقسيم لمن اشتمل على جميع الصفات السابقة فلا يصح إسقاطها إذ لا تجتمع الثيوبة والبكارة ، وواو الثمانية عند القائل بها صالحة للسقوط)[٤] .

وقال العكبرى : (فأما الواو فى قوله تعالى (وأبكارا) فلا بد منها لأن المعنى : بعضهن ثيبات وبعضهن أبكار)[٥] .

وفى حاشية الجمل (وإنما وسطت الواو بين ثيبات وأبكارا لتنافى الوصفين فيه دون سائر الصفات)[٦] .

---

(١) أنظر الكشاف ٤ : ١٧٨ .
(٢) « تفسير أبى السعود ٨ : ٢٦٨ .
(٣) « الجنى الدانى ص ١٦٩ .
(٤) « المغنى ٢ : ٣٦٤ .
(٥) « التبيان ٢ : ١٢٣٠ .
(٦) أنظر حاشية الجمل ٤ : ٢٦٧ .

وقد جعل السيوطى « الواو » فى الآيات الأولى والثانية والرابعة للعطف قال فى الإتقان :

« والصواب عدم ثبوتها - أى واو الثمانية - وأنها فى الجميع للعطف »[1]

وأقول : إن ما ذهب إليه الأعلام من أن « الواو » فى (وأبكاراً) للعطف هو ما نميل إليه لما يترتب على القول بخلافه من اجتماع الثيوبة وهما متنافيتان قطعاً .

الآية الخامسة :

هذه الآية ذكرها ابن هشام فى المغنى نقلا عن الثعلبى قال : « وأما قول الثعلبى إن منها الواو فى قوله تعالى : (سبع ليال وثمانية أيام حسوماً)[2] فهو بين ، وإنما هذه واو العطف وهى واجبة الذكر »[3] .

ولا شك أن هذه « الواو » واو العطف ولابد من ذكرها لأن بحذفها لا يستقيم الكلام ، وما قاله الثعلبى يدل على أن القائلين بوجود « واو الثمانية » يتمحلون لإثباتها .

المبحث الرابع :

رد العلماء على القائلين بوجود واو « الثمانية » من خلال الآيات المستدل بها :

قال ابن هشام فى المغنى فى معرض حديثه عن قوله تعالى (وفتحت أبوابها)

---

(١) أنظر الإتقان فى علوم القرآن ١ : ٢٣٤ .

(٢) من الآية ٧ من سورة الحاقة .

(٣) أنظر المغنى ٢ : ٣٦٢ .

« وأقول : لو كان لواو الثمانية حقيقة لم تكن الآية منها إذ ليس فيها ذكر الأبواب وهى جمع لا يدل على عدد خاص ، ثم الواو ليست داخلة عليه بل على جملة هو فيها »(١).

وقال عند حديثه على قوله تعالى (ثيبات وأبكاراً) : « ثم إن ـ أبكاراً ـ صفة تاسعة لا ثامنة إذ أول الصفات (خيراً منكن) لا (مسلمات) ، فإن أجاب بان (مسلمات) ومابعده تفصيل لـ (خيراً منكن) فلهذا لم تعد قسيمة لها قلنا : وكذلك (ثيبات وأبكاراً) تفصيل للصفات السابقة فلا نعدها معهن (٢) » .

وقال الفخر الرازى عقب ذكره « واو الثمانية » كما يسميها الناس « قال القفال : وهذا ليس بشيء ، والدليل عليه قوله تعالى (هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر)(٣) ولم يذكروا الواو فى النعت الثامن(٤) » .

وفى القرطبى حين ذكر أن السبعة نهاية العدد عند العرب قال : « قال القشيرى أبو نصر : ومثل هذا الكلام تحكم ومن أين السبعة نهاية عندهم ؟ ثم هو منقوض بقوله تعالى : (هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر) (٥) ، ولم يذكر الاسم الثامن الواو » .

---

(١) أنظر المغنى ٢ : ٣١٣ .
(٢) أنظر المغنى ٢ : ٣١٤ .
(٣) من الآية ٢٣ من سورة الحشر .
(٤) أنظر تفسير الفخر الرازى ٢٢ : ٢٠٧ .
(٥) من الآية ٢٣ من سورة الحشر .

المبحث الخامس :

الإنصاف بين القائلين بوجودها وبين القائلين بعدم وجودها :

بعد العرض لآراء القائلين بوجود « واو الثمانية » فى لغة العرب وبين القائلين بعدم وجودها أود أن أصل إلى حكم قاطع يقضى بوجودها من عدمه وهذا يدعونى إلى ذكر مرجحات الوجود ثم إلى ذكر مرجحات العدم ثم نأتى إلى النهاية الحاسمة .

أولا : مرجحات الوجود :

١ ـ ما ذكره الدمامينى فيما نقله عنه الدسوقى والأمير فى حاشيتيهما على المغنى بأنها لغة فصيحة لبعض العرب(١).

٢ ـ ما نقله القرطبى فى تفسيره عن ابن عطية عن أبيه عن الأستاذ أبى عبد الله الكفيف المالقى النحوى أنه قال : « هى لغة فصيحة لبعض العرب ، من شأنهم أن يقولوا إذا عدوا : واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة ثمانية تسعة عشرة وهكذا هى فى لغتهم ، ومتى جاء فى كلامهم أمر ثمانية أدخلوا الواو قلت : هى لغة قريش »(٢).

٣ ـ ما ذكره العكبرى فى التبيان من قوله : « إنما دخلت الواو فى الصفة الثامنة إيذاناً بأن السبعة عندهم عدد تام ولذلك قالوا : سبع فى ثمانية أى سبع أذرع فى ثمانية أشبار »(٣).

---

(١) أنظر حاشية الدسوقى ٢ : ٢٤ وحاشية الأمير ٢ : ٢٥ .
(٢) أنظر تفسير القرطبى ٥ : ٤٠٠٠ .
(٣) أنظر التبيان ١ : ٦٦٢ .

٤ ـ ما ذكره الأنبارى فى البيان من قوله : « وأما (سبعة رئامبهم كابهم) فإنما جاء بالواو ولم يجىء به على الصفة كالعدد قبله لأن السبعة أصل المبالغة فى العدد كما كانت السبعين كذلك فى قوله تعالى : (إن نستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم)[١] . . »[٢].

وقد ذكر مثله الفخر الرازى[٣].

تلك هى مرجحات الوجود .

ثانياً : مرجحات العدم :

١ ـ ما ذكره القشيرى أبو نصر تعقيباً على ما ذكره القرطبى حكاية عن الثعلبى والقفال من وجود (واو الثمانية) قال القشيرى : (ومثل هذا الكلام تحكم ، ومن أين السبعة نهاية عندهم ؟ ثم هو منقوض بقوله تعالى : (هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر) ولم يذكر الإسم الثامن)[٤] .

وقد ذكر مثله القفال فيما حكاه عنه الفخر الرازى[٥] .

٢ ـ ما ذكره ابن هشام فى المغنى تعليقاً على قول من يقول إن (الواو) لم تذكر فى (فتحت) فى آية النار لأن أبوابها سبعة ، وذكرت فى (فتحت)

---

(١) من الآية ٨٠ من سورة التوبة .
(٢) أنظر البيان ٢ : ١٥٤ .
(٣) أنظر تفسير الفخر الرازى ٢٢ : ١٠٧ .
(٤) أنظر تفسير القرطبى ٥ : ٤٠٠٠ .
(٥) أنظر تفسير الفخر الرازى ٢٢ : ١٠٧ .

فى آية الجنة لأن أبوابها ثمانية من قوله : (وأقول لو كان لواو الثمانية حقيقة لم تكن الآية منها إذ ليس فيها ذكر عدد ألبته وإنما فيها ذكر الأبواب وهى جمع لا يدل على عدد خاص ، ثم الواو ليست داخلة عليه بل على جملة هو فيها) (١).

٣ ـ ما ذكروه من أن (الواو) فى (وفتحت أبوابها) واو الحال أى : جاء وها مفتحة أبوابها كما صرح بمفتحة حالا فى (جنات عدن مفتحة لهم الأبواب) وقد نسب إلى المبرد والفارسى وجماعة (٢).

٤ ـ ما ذكره ابن هشام رداً على من يقول بأن (الواو) فى قوله تعالى : (والناهون عن المنكر) . (واو الثمانية) من قوله (والظاهر أن العطف فى هذا الوصف بخصوصه إنما كان من جهة أن الأمر والنهى من حيث هما أمر ونهى متقابلان بخلاف بقية الصفات ، أو لأن الآمر بالمعروف ناه عن المنكر وهو ترك المعروف ، والناهى عن المنكر آمر بالمعروف فأشير إلى الاعتداد بكل منهما وأنه لا يكتفى فيه بما يحصل فى ضمن الاخر) (٣).

٥ ـ ما ذكره ابن هشام أيضا عقب نقله عن القاضى الفاضل والثعلبى القول بأن (الواو) فى قوله تعالى (ثيبات) وأبكاراً) ، (واو الثمانية) من قوله (والصواب أن هذه الواو وقعت بين صفتين هما تقسيم لمن اشتمل على جميع الصفات السابقة فلا يصح إسقاطها إذ لا تجتمع الثيوبة والبكارة ، وواو الثمانية عند القائل بها صالحة للسقوط) (٤).

---

(١) أنظر المغنى ٢ : ٣٦٣ .

(٢) المرجع السابق والجنى الدانى ص ١٦٨ .

(٣) أنظر المغنى ٢ : ٣٦٣ ، ٢٦٤

(٤) أنظر المغنى ٢ : ٢٦٤ .

ثم قال : « ثم إن (أبكاراً) صفة تاسعة لا ثامنة إذ أول الصفات (خيراً منكن) لا (مسلمات) فإن أجاب بأن (مسلمات) وما بعده تفصيل لـ (خيراً منكن) فلهذا لم تعد قسيمة لما قلنا : وكذلك (ثيبات وأبكاراً) تفصيل للصفات السابقة فلا تعدها معهن »(١).

٦ ـ ما ذكره صاحب الإنصاف فيما تضمن الكشاف من الاعتزال حكاية عن الشيخ أبي عمرو بن الحاجب عن أبي الجود النحوى رداً على القاضي الفاضل من قوله « وواو الثمانية إن ثبتت فإنما ترد بحيث لا حاجة إليها إلا للإشعار بتمام نهاية العدد الذى هو السبعة »(٢).

٧ ـ ما ذكره أيضا صاحب الإنصاف رداً على من يقول بوجود « واو الثمانية » من قوله : « ويعدون من هذه الواو فى قوله فى الجنة (وفتحت أبوابها) قالوا : لأن أبواب الجنة ثمانيه وأبواب النار سبعة ، وهب أن فى اللغة واواً تصحب الثمانية فتختص بها فأين ذكر العدد فى أبواب الجنة حتى ينتهى إلى الثامن فتصحبه الواو ؟

وربما عدوا من ذلك (والناهون عن المنكر) وهو الثامن من قوله (التائبون) وهذا أيضا مردود بأن الواو إنما اقترنت بهذه الصفة لتربط بينها وبين الأولى التى هى (الآمرون بالمعروف لما بينهما من التناسب والربط ألا ترى اقترانهما فى جميع مصادرهما ومواردهما كقوله تعالى (يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)(٣) وكقوله (وأمر بالمعروف وانه عن المنكر)(٤)،

---

(١) المرجع السابق .

(٢) أنظر الإنصاف فيما تضمن الكشاف من الاعتزال بها من الكشاف ٤ : ١٢٨ .

(٣) من الآية ٦٧ من سورة التوبة (٤) من الآية ١٧ من سورة لقمان

وربما عد بعضهم من ذلك الواو فى (ثيبات وأبكاراً) لأنه وجدها مع الثامن وهذا غلط فاحش فإن هذه واو التقسيم ولو ذهبت تحذفها فتقول : ثيبات أبكاراً لم يستقم الكلام ، فقد وضح أن الواو فى جميع هذه المواضع المعدودة واردة لغير ما زعمه هؤلاء) (١)

٨ - ما ورد عن ابن عباس - رضى الله عنهما - من قوله « حين وقعت الواو انقطعت العدة ، أى لم يبق بعدها عدة عاد يلتفت إليها وثبت أنهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والبتات) (١) .

٩ - الحكم بزيادة « الواو » فى قوله تعالى (وفتحت أبوابها) وفى قوله (والناهون عن المنكر) وإن كان غير سديد كما ذكرنا آنفاً (٢)

وهذه مرجحات القول بعدم وجودها ، وإذا نظرنا إلى المرجحات جميعاً أعنى مرجحات الوجود ومرجحات العدم — نجد أن مرجحات الوجود لاتناهض مرجحات العدم لا من ناحية الحكم ولا من ناحية الكيف ، ومن هنا فإنى أقول : إن القول بعدم وجود « واو الثمانيه » هو القول الذى تستريح إليه النفس ويطمئن إليه الفؤاد وذلك للأسباب الآتية :

١ - لم يثبت عن الخليل وسيبويه ولا أحد من متقدمى النحاة القول بوجود « واو الثمانية » ولذلك حين تعرض الخليل لـ « الواو » فى قوله تعالى (وفتحت أبوابها) لم يذكر رأيه فيها قال الرمانى فى معانى الحروف :

---

(١) انظر الإنصاف فيما تضمن الكشاف من الإعتزال بهامش الكشاف ٢(٤٧٨ : ٤٧٩ .

(٢) انظر الكشاف ٢ ٤٧٩ .

« واعتنى الخليل من الآية والقول فيها »[1] ، وقد تعرض المبرد لـ « الواو » في الآية وذكر أن الكوفيين يقولون بزيادتها[2]

٢ ـ إذا ثبت ما نقله القائلون بوجودها عند العرب وأن إضافة « واو » بعد العدد السابع لغة فصيحة لبعض العرب أو قريش على وجه الخصوص وأردنا تطبيق ذلك على الآيات التي استدلوا بها على وجودها لوجدنا أن هذا لا ينطبق إلا على آية واحدة منها لا على أنها (واو الثمانية) كما يزعمون ولكن على أنها واو العطف سميت باسم غير جنسها وإليك البيان :

(أ) ففي قول الله تعالى (والناهون عن المنكر) الواو للعطف قطعاً لما بين الأمر والنهي من التضاد ولذلك جيء بها رابطة بينهما لتباينهما وتنافيهما وقد رأينا الشيخ أبا السعود يقول في تفسيره :

(والعطف فيه للدلالة على أن المتعاطفين بمنزلة خصلة واحدة)[3] ، ثم إنه ليس هناك عدد حتى يقال إن (الواو) دخلت بعد السابع منه ، وإذا سلمنا بذلك فكيف نعلل لدخولها في قوله تعالى بعده (والحافظون) مع أنه وصف تاسع على قولهم ؟ ولا ترتضي قول من يقول : إنها دخلت فيه لقربه من الموصوف أو أنها زائدة ، ولهذا رأينا الإمام القرطبي في تفسيره يرد هذا بقوله (وهذا ضعيف لا معنى له)[4] .

(ب) وفي قوله تعالى (وفتحت أبوابها) الواو للحال وهو أحسن ما قيل فيها ، وليست زائدة كما ذكر بعضهم[5] ، وليست (واو الثمانية)

---

(١) « معاني الحروف للرماني ص ٦٣ : ٦٤ .

(٢) « المقتضب ٢ : ٧٨

(٣) انظر تفسير أبي السعود

(٤) « تفسير القرطبي ٤ : ٣١١٠

(٥) « ص ١٠ ، ١١ من هذا البحث .

وذلك لأنه ليس ثمت عدد حتى يقال إنها دخلت بعد السابع منه .

(حـ) وفى قوله تعالى (ثيبات وأبكاراً) الواو للعطف قطعاً لأنها وقعت بين صفتين متنافيتين إذ لا تجتمع الثيوبة والبكارة ، كما أنه عند التحقيق نجد أن (أبكاراً) صفة تاسعة لا ثامنة حتى يقال إنها دخلت على الصفة الثامنة إذ أول الصفات (خيراً منكن) كما ذكر ابن هشام (١) .

(د) وأما قوله تعالى (وثامنهم كلبهم) فهو الموضع الفريد الذى يمكن أن يستند إليه القائلون بوجود « واو الثمانية » لأنها داخلة على العدد الثامن صراحة ، ولكننى - كما سبق أن ذكرت - أن الأئمة يردون هذا القول اعتماداً على أن « واو الثمانية » إنما ترد بحيث لا حاجة إليها إلا للاشعار بتمام نهاية العدد الذى هو السبعة (٢) ، ثم إن المقام ليس مقام عد أو سرد العدد وكما هو المقصود من هذه اللغة الفصيحة التى حكوها عن العرب ،

كلمة أخيرة :

بعد هذا العرض لـ (الواو) فى الآيات التى استدل بها القائلون بوجود (واو الثمانية) أقرر فى ثقة واطمئنان بأنه ليس هناك واو تسمى (واو الثمانية) ولكن يدفعنى الإنصاف إلى القول بأن (الواو) فى قوله تعالى وثامنهم كلبهم) يمكن أن تسمى بـ (واو الثمانية) على أنها (واو العطف) سميت باسم غير جنسها استئناساً بما ذكره العلامة الكافيجى حيث قال : (هى فى التحقيق واو العطف لكن لما اختص استعمالها بمحل مخصوص وتضمنت

---

(١) انظر ص ٤ من هذا البحث .

(٢) « حاشية الجمل ٣ : ١٧ .

أمراً غريباً واعتباراً لطيفاً ناسب أن تسمى باسم غير جنسها فسميت بواو الثمانية لمناسبة بينها وبين سبعة ، وذلك لأن السبعة عندهم عقد تام كعقود العشرات لاشتمالها على أكثر مراتب أصول الأعداد فإن الثمانية عقد مستأنف فكان بينهما اتصال من وجه وانفصال من وجه وهذا هو المقتضى للعطف ، وهذا المعنى ليس موجوداً بين السبعة والستة) .

وعلى هذا فليس هناك حرف مخصوص يسمى بـ (واو الثمانية) .

وبعد فلعلى أكون قد وفقت فى تجلية الحقيقة الكامنة وراء هذه (الواو) التى شغلت الكثير من العلماء وملأت العديد من صفحات مؤلفاتهم ،

والله ولى التوفيق وهو الهادى إلى سواء السبيل .

دكتور / على السنوسى محمد
المدرس فى قسم اللغويات فى كلية اللغة العربية
بأسيوط